ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الأول - يناير ٢٠١٩

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

الفهرس

تقديم	٣
نخل العراق	٤
النقود العربية في العصر العباسي	١٦
سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي	٣٦
أغنية صنعاء	٥٠
ملف خاص	
– زينة الخيول الأشورية وسروجها	٥٢
– ركوب الخيل في العصر العباسي الأول	٦٠
– مضمار وسباق الخيول في سامراء	٦٤
– أدب الفروسية في العصر المملوكي	٧٤
– إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل	٩٨
– الأفراس المؤسسة للمرابط المصرية	١٠٨
– العقيلات ووجودهم في مضامير الفروسية في مصر	١٢٤
– نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد	١٣٦
الحكاية الفلسطينية	١٤٠
تِطوان: المدينة الأندلسية في شمال المغرب بين الحاضر والماضي	١٤٢
سليل البوعبديل	١٤٨
البريد والطوابع في لبنان	١٥٦
ذاكرة العرب	١٦٤

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، يناير ٢٠١٩

مضمار وسباق الخيول في سامراء

بقلم: الاستير نورثيدج
ترجمة: بسمة عبد العزيز
مراجعة الترجمة: خلود سعيد

ساحة الأنقاض في سامراء على نهر دجلة هي ما تبقى من عاصمة الخلفاء العباسيين – سامراء – خلال الفترة ٢٢١-٢٧٩هـ/ ٨٣٦-٨٩٢م؛ حيث تمتد المباني المهدمة المبنية من الطوب والطمي على ما يقرب من ٥٠ كم على طول ضفاف النهر، وتُغطي مساحة سطحية تبلغ قرابة ٥٧ كم مربع. في هذه الحقبة كانت سامراء واحدة من أعظم عواصم العالم؛ حيث كانت مساحتها أكبر من مساحة روما أو القسطنطينية أو تشانغآن، ونحو حجم بغداد نفسه. وكانت تضم واحدًا وثلاثين قصرًا، ومنازل ضخمة، وطرقًا طويلة مع شبكات شوارع مرتبطة بها، وأربعة مساجد جامعة، وأسواقًا، ومعسكرًا للجيش. فليس من المفاجئ إذًا العثور على أدلة على الرياضات الخاصة بالخلفاء العباسيين. وبغض النظر عن لعبة الشطرنج، فإن التسلية الرئيسية كانت تشمل الخيول: الصيد وسباق الخيل والبولو. وكانت سباقات الخيول تحظى بشعبية خاصة بين العرب في بداية الإسلام. ومن ناحيةٍ أخرى كانت لعبة البولو هي الرياضة الوطنية الفارسية، وكان يمارسها الملوك الساسانيون.

سباق الخيل

وفقًا للمصادر المكتوبة عن هذه الفترة، انحدر سباق الخيل الإسلامي في بداياته من الرياضات في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام (الجاهلية). ويُقال إن الباحث المصري عيسى بن لهيعة (توفي ١٤٥هـ/ ٧٦٣م) قد قام بتأليف كتاب «الجلايب والحلايب» ذكر فيه كل موقع السباق (الحلبة) الذي تم فيه تشغيل الخيول في الجاهلية والإسلام. روى علي بن الحسين المسعودي محادثة للخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م) عن سباق الخيل في الجاهلية والفترة الأموية. وذُكرت السباقات بين خيول من مختلف القبائل في الجاهلية، مثل «حرب داحس»؛ إذ أشعلها انتصار الفحل [حصان عربي أصيل] داحس في سباق.

سمح النبي ﷺ بسباق كل من الخيول والجِمال؛ إذ عُقدت السباقات في عام ٦هـ/ ٦٢٨م على سبيل المثال. والإشارات إلى تدريبه الخيول بنفسه، ومنح جوائز للفائزين في السباق تظهر في جميع مجموعات الأحاديث النبوية الهامة تقريبًا. وتسابق الرسول بخيول محترفة على مسافة ستة أميال، من الحافية إلى ثنيات الوداع بالقرب من المدينة المنورة. فكانت الخيول التي لم تتم تجربتها تجري لميل واحد، من ثنيات الوداع إلى مسجد بني زريق داخل المدينة. ويبدو أن هذه المسابقات كانت طولية، من نقطة محددة إلى أخرى.

كان الخلفاء الأمويون (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) مهتمين بشكل كبير بالخيول والسباقات. فيُقال إن لمعاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م) حلبة سباق اعتاد التردد عليها في أيام محددة، كما أن يزيد بن أبي سفيان (٦٠-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٣م) قد ذُكر أيضًا في هذا الصدد. وأنفق هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) مبالغ كبيرة على سباقات الخيول وتدريبها، ومن المفترض أنه كان يمتلك ٤,٠٠٠ من الخيول وهو ما يفوق أي عربي آخر. واكتسب أحد خيوله (الزائد) سمعة كبيرة. وخلال فترة حكمه جمع خليفته الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م)، ١٠٠٠ حصان، كان أفضلها السندي، الذي كان في بعض الأحيان يتغلب على الزائد، وأحيانًا أخرى يأتي في المرتبة الثانية. وكانت هذه السباقات تُقام في رصافة هشام بمقر الخليفة خارج أسوار الرصافة (سرجيوبوليس) في شمال سوريا.

ترك الأمير الأموي محمد بن يزيد بن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان، الذي عاش في حصن مَسْلَمة في الجزيرة، قصيدة تصف هذا السباق. وكان جده مَسْلَمة أحد أكثر القادة الأمويين تمييزًا في الحروب ضد بيزنطة، ولا بد إذًا أن محمدًا كان شابًا بنهاية الخلافة الأموية. وربما كانت السباقات الشهيرة في الرصافة هي التي ألهمت شعره. فوفقًا لوصفه، يُعقد السباق في عطلة، ويحضره حشد كبير. وكان الأمير أحد الذين قادوا الخيول للخارج، ووصف ثلاثة من الخيول العشرة المتسابقة، كانت تمتطيها زنوج صغيرة، واصطفت أمام شريط تحت إشراف حكم. تابع الكاتب من مكان مرتفع من الأرض الخيول وهي ترمح في سحابة من الغبار، وأعلن عن الترتيب عند خط النهاية. حصل صاحب الحصان الفائز على المجد والجوائز: أثواب من القماش الفاخر التي كانت معروضة على سبع قصبات (رءوس قصب الرماح) في الملحق، وحصل على شهادة مكتوبة باللون الأحمر؛ وصرة نقود يقوم بتوزيع محتواها على الفرسان. ومع ذلك، ادّعى الأمير أنه الشخص الذي كان يهتم بالحصان ويطعمه ويسقيه.

سُمح للخيول الثمانية الأولى بالدخول إلى الملحق، على الرغم من أن الثامن لم يكن يحصل على أي جائزة. وأُعلِن عن الترتيب النهائي، وقد بقيت ثلاثة إصدارات مختلفة من القائمة. ونسخة محمد بن يزيد هي:

١- الفائز (السابق).
٢- الحصان الذي يضع مقدمة رأسه بالقرب من ذيل الحصان المتقدم (المصلي).
٣- الحصان الذي يجلب المتعة إلى سيده ويزيل أحزانه (المسلي).
٤- التابع (التالي).
٥- المتنافس (المرتاح).
٦- المحظوظ (الحظي).
٧- المعزي (العاطف).
٨- الذي يجلب الأمل (المُؤمل).
٩- الذي سعى إلى الهدف ولكنه فشل (اللطيم).
١٠- الصامت (السّكيت).

يوجد تقرير تفصيلي آخر في كتاب «إرشاد الأريب» لياقوت، يصف فيه سباقًا استعرض فيه هشام ٤٠٠٠ حصان، ورد فيه: «جعل هشام الحد ٢٥٠ غلوة (٢٥ ميلًا) و١٠٠ قصبة، وكان المقواس (الشريط) ستة أسهم [...] خرج هشام إلى صحراء الرصافة قبل بضعة أيام من السباق، وأعد مسارًا عريضًا دون قيود. وفي يوم السباق انطلقت الخيول في حضوره، في حين كان يشاهدهم يتسابقون حتى عادوا، وكان الناس يترقبونهم حتى ظهر الزائد، كأنه ريح بلا أي قيود، حتى دخل أولًا وحاز قصب السبق، ثم جاءت باقي الخيول».

اختلفت هذه السباقات اللاحقة عن تلك التي عقدها النبي في عودة الخيول إلى نقطة البداية. ويمكن أيضًا ملاحظة

أن تجهيز الحلبة تطلب القليل من الإعداد. فيبدو أن السباقات في الرصافة قد حددت معيار سباق الخيل الكلاسيكي. وبعد ثورة العباسيين، عُرف عن الخلفاء: السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٤م)، والمهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، والهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م)، إقامة سباق الخيول، إلا أن هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) كان أكثر المتحمسين شهرة. وفي سباق شهير في الرقة في شمال سوريا نظمه الوزير جعفر البرمكي بتعليمات من الخليفة، فاز حصان جعفر على حصان الخليفة نفسه، الأمر الذي كاد يطيح بالوزير.

هناك إشارات قليلة إلى السباق في سامراء، من ضمنها قصيدة معروفة ترجع إلى عام ٢٤٦هـ/ ٨٥٨م؛ حيث احتفى البحتري بهذا السباق ومدح الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م). وجاء البيت الأول (المطلع) كالتالي: «يا حُسنَ مُبدي الخَيلِ في بكورِها/ تَلُوحُ كالأنْجُم في دَيْجُورِهَا». ومثل كثير من شعر المَدح، فإنه يحتوي على قليلَ فقط من التفاصيل المفيدة، ولكن تشير عبارة واحدة إلى أن حلبة السباق في سامراء كانت مُسوّرة بشكل ما: «صار الرجال شرفًا لسورها». روى أبو جعفر محمد الطبري أن المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) في أثناء ثورة بابك في أذربيجان الشمالية عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، قد استخدم خيول السباق (المدمرة) وفرسانها كرسل إلى هذا الإقليم: «أعدوا المتاريس في المرج»، أي مرج القلعة مربط شرقي بغداد بالقرب من الحدود العراقية الحالية مع إيران.

حلبات السباق في سامراء

تتوافق الأدلة من المصادر المكتوبة مع البقايا الأثرية في سامراء؛ حيث عُثر على ثلاث حلبات للسباق شرق قصر الخليفة المعتصم، (المعروف باسم دار الخلافة أو قصر جوسق الخاقاني،) وواحدة أبعد باتجاه الشمال بالقرب من معسكرات فيالق الجيش التركي في الكرخ (سور أشناس حاليًا). وتتميز حدود هذه الحلبات بتلال الطين، وغالبًا ما كانت بقايا جدران منخفضة.

الحلبة الأولى: حلبة تل العليق

تنقسم حلبة السباق الأولى إلى ثلاثة أجزاء: مسار على هيئة مظلة بعرض ٨٠ مترًا، وينحني عند الطرف الجنوبي، والتل الاصطناعي في تل العليق في الطرف الشمالي، ومبنى أبعد شمالًا (في المدرسة) متصل بالمسار والمدينة بواسطة ملحق على شكل مثلث. اختفى الجزء الغربي من المنحنى والجزء الجنوبي

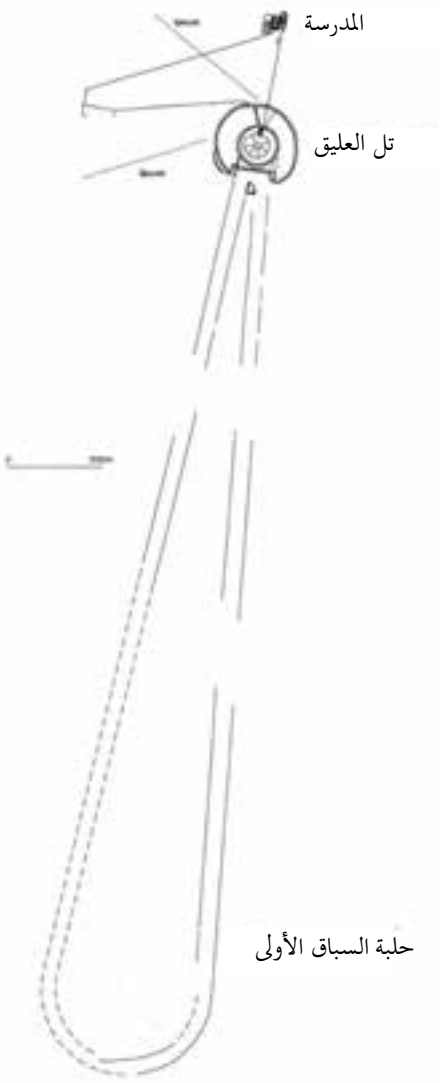

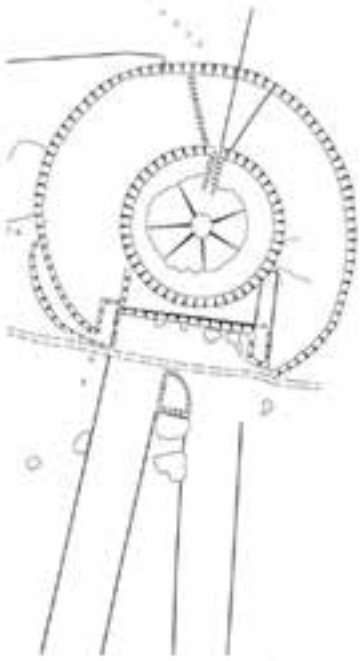

تل العليق نفسه هو تل اصطناعي مخروطي بارتفاع ٢١,٦ مترًا، مع سطح مسطح بعرض ٣٢ مترًا، وقطر قاعدة ١٣٠ مترًا.

شارع أبي أحمد (الشارع الرئيسي القديم)
شارع السرجة
شارع الحير الأول
شارع برغامش التركي
شارع الحير الجديد
شارع العسكر
حلبة السباق ١
مسجد
شارع الخليج
منطقة إسطبلات الخليفة
0
1km

سامراء

حلبة السباق ٢
مصلى
تل العليق
حلبة السباق ٣
الشارع الأعظم
(السرجة)
دار الخليفة

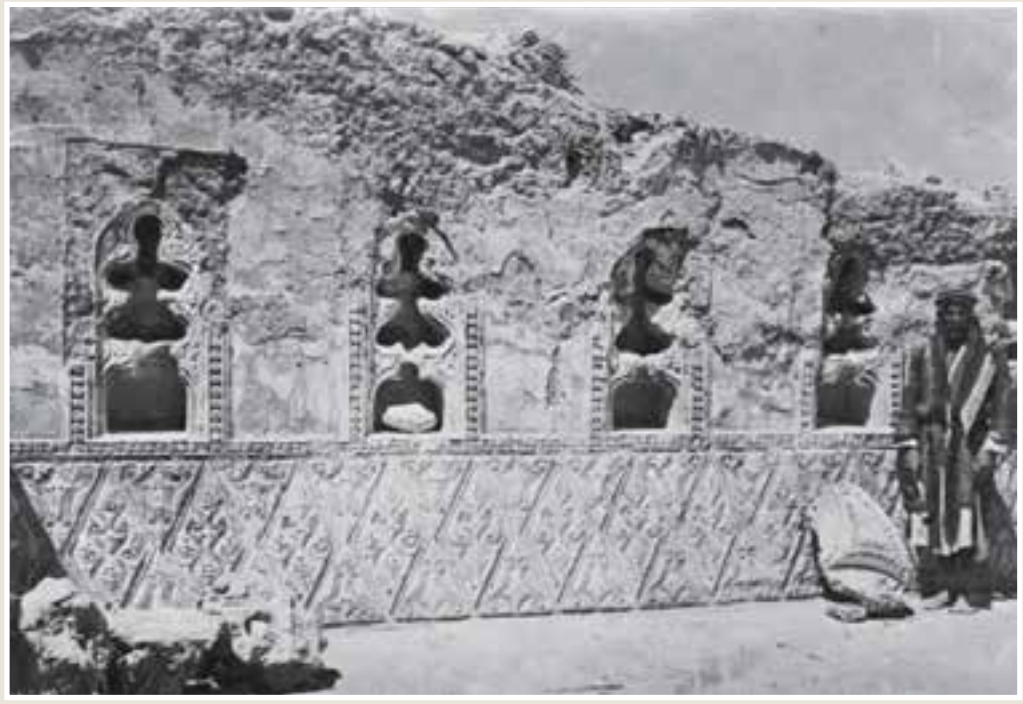

أطلال مدينة سامراء.

المستقيم بالكامل. وعند أخذ خط الوسط كقياس أساسي، نجد إجمالي طول قرابة ١٠٤١٠ أمتار. تم وضع خط البداية في المساحة الدائرية حول تل العليق، وتميز بإعدادات ثلاثية الجوانب من التلال المرتفعة. تل العليق نفسه عبارة عن تلة اصطناعية مخروطية ارتفاعها ٢١,٦ مترًا، مع سطح مسطح بعرض ٣٢ مترًا، وقاعدة بقطر ١٣٠ مترًا. وفي عام ١٩١٣، نقّب إرنست هرتسفلد عن سرادق على قمة التل، ووجد بقايا من الجص واللوحات الجدارية. ولا شك أن السرادق كان معدًّا كمقصورة يمكن للخليفة أن يشاهد منها السباقات. وكانت قاعدة السرادق محاطة بخندق عبارة عن خط قناة للمياه الجوفية تأتي من الشمال الغربي، وقناة أخرى تجري باتجاه الغرب – الجنوب الغربي باتجاه المدينة؛ ويبدو أنها كانت مصرفًا للحفاظ على تدفق المياه. وخارج الخندق كان هناك مساحة مُسوّرة للعامة بعرض ٨٨ مترًا إلى ١٠٤ أمتار، تهدف على الأرجح إلى إبقاء الجمهور على مسافة من الخليفة الجالس في سرادقه. قطع منحدر الخندق الجانب الشمالي من التلة، وكان المبنى الموجود في المدرسة باتجاه الشمال هو مجموعة غير منتظمة قليلًا من الأفنية ١١٦ × ١١٨ مترًا. ومن الواضح أن المخطط كان لقصر صغير، وأغلب الظن أن المبنى كان استراحة للخليفة. ربطت الجدران تل العليق بالمدرسة والمدينة الرئيسية شمال دار الخلافة. وكانت النتيجة عبارة عن ملحق مثلث الشكل، له مخارج عند كل نقطة من النقاط الثلاث. والميزة الأوضح لهذا الترتيب هي توفير طريق آمن ومغلق للخليفة من المدينة إلى كلٍّ من المدرسة وتل العليق. وذكر ياقوت في قائمته التي ضمت المباني التي بناها المتوكل قصر التل بجزأيه العلوي والسفلي، والذي تكلف بناؤه خمسة ملايين درهم. ويشير تقسيم هذا المبنى إلى جزأين علوي

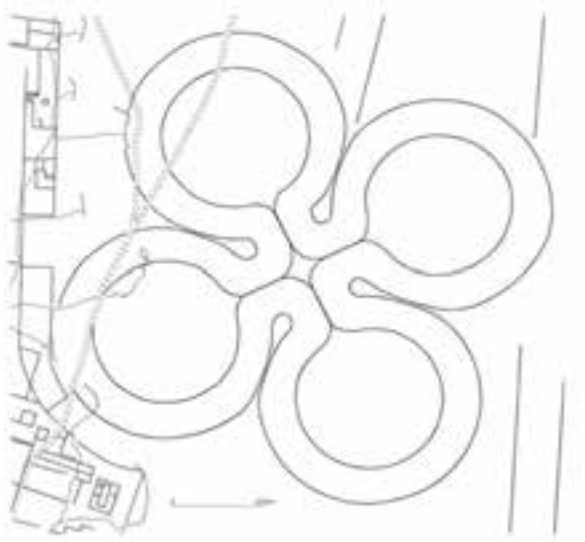

الحلبة ذات الأربع دوائر.

وسفلي إلى تماثل مع السرادق على التل والاستراحة في المدرسة على التوالي.

الحلبة الثانية: حلبة على شكل زجاجة

بشكل عام تتشابه هذه الحلبة مع الحلبة الأولى، ولكن يمكن وصفها بأنها على هيئة زجاجة. تتباعد الجوانب من نقطة البداية ثم بعد ١٥١٠ أمتار يوجد انحناء على شكل S على الجانب الجنوبي، بعده تكاد الجوانب تكون متوازية، ويوجد خط مستقيم بنحو ٢٢٠٠ متر قبل المنحنى. ويبلغ عرض المسار ٨٠ مترًا وطوله ١٠٤٠٧ أمتار.

الحلبة الثالثة: الحلبة ذات الدوائر الأربع

يتكون التصميم من أربع دوائر متصلة بصليب مركزي. فهناك مسار متواصل يبلغ عرضه نحو ٧٨ مترًا منتظمًا تقريبًا في معظم أجزائه. يبلغ إجمالي طول الدائرة المتواصلة، إذا ما تم قياسها على طول خط منتصف الحلبة، نحو ٥٣٤٦ مترًا. ويوجد على الجانب الذي باتجاه المدينة فجوة بمساحة ١٨٠ مترًا في الجدار الخارجي، ربما كانت مدخلًا للخيول. وهناك أيضًا أربعة مداخل متماثلة؛ حيث يكون الجدار الخارجي أقرب ما يكون من نقطة المركز؛ مما يتيح الوصول إلى المركز. وفي النقطة المركزية شُيِّد مبنى على شكل ماسة بعرض ٤٧ مترًا. ويوجد في وسط الماسة بقايا طوب حراري بما يقارب مخططًا لمبنى من تسع غرف بمساحة ١٨ × ١٨ مترًا، ومساحة كل غرفة ٥ × ٥ أمتار. وعلى الأرجح كان هذا المبنى أيضًا سرادقًا صغيرًا.

الحلبة الرابعة: المسار من نقطة إلى نقطة

في الجزء الشمالي من الموقع في المتوكلية، يوجد مسار يشبه الطريق شرق الشارع الأعظم، يبلغ عرضه ١٠٤ أمتار، ويتميز بوجود تلال منخفضة على كلا الجانبين. يقع طرفه الجنوبي على الجانب الشمالي من نهر مُرير، ويقابل الجانبين الطريق الرئيسي للمعسكرات التركية؛ أما شبكة الشوارع الرئيسية في الكرخ على الجانب الغربي، فيقطعها مسار، ثم تتواصل باتجاه الشرق. ويمكن تتبع آثار المسار إلى الشمال حتى نقطة تقع شرق مسجد أبي دلف. والطول الذي يمكن تتبعه هو ٩٧٨٠ مترًا؛ وهو ليس بالضرورة الطول الأصلي للمسار. ويمتلئ الطرف الشمالي الآن بمباني المتوكلية. وعلى الرغم من أن المسار يحاذي بدقة طريق الكرخ، فإنه تقريبًا يحاذي فقط الطريق في المتوكلية؛ مما يشير إلى أنه تم تصميمه بعد البناء الأوّلي لمجمعات الأتراك عند الكرخ في سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وتم التخلي عنه قبل بناء المتوكلية في سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م.

من بين حلبات السباق الأربع في سامراء، يوجد ثلاثة أنواع مختلفة: حلبة الذهاب والعودة التي تبدأ وتنتهي عند النقطة نفسها؛ والحلبة المتواصلة على هيئة أربع دوائر متصلة؛ والحلبة التي تكون من نقطة إلى نقطة. استخدمت الحلبة التي على شكل المظلة والحلبة من نقطة إلى نقطة خلال السنوات الأولى في سامراء؛ أما الحلبتان الأخريان، فتم استخدامهما في فترة لاحقة، ولم يتم البناء مرة أخرى. وقد بلغ طول الحلبات التي على شكل المظلة وشكل الزجاجة ١٠,٤ كم. وفي الأصل قد تكون الحلبات التي هي من نقطة إلى نقطة بالطول نفسه؛ أما الحلبة ذات الأربع دوائر، فهي تقريبًا نصف هذا الطول. ويمكن القول إن ١٠,٤ كم تساوي ٦ أميال إسلامية. وفي هذا الصدد يمكن القول إن السباقات في سامراء كانت تستند إلى تلك التي كانت تقام في وقت النبي في المدينة. وبالطبع كانت الحلبات التي تكون من نقطة إلى نقطة معدة لنوع السباق نفسه الذي كان يُقام في المدينة. ومن ناحية أخرى، فإن الحلبات التي كانت على شكل المظلة وشكل الزجاجة كانت معدة لنوع السباق الشائع في عهد هشام بن عبد الملك وهارون الرشيد. وصف المسعودي الرشيد وهو جالس على سجادة على جزء مرتفع من الأرض وينتظر عودة الخيول، كما يمكن للمرء أن يتخيل الخليفة المتوكل وهو يجلس في السرادق على تل العليق.

كان هناك اتجاه نحو الابتكار أيضًا. فكانت الحلبات ذات الأربع دوائر نوعًا جديدًا من الحلبات؛ حيث كانت الخيول تتسابق حول الخليفة الذي كان يجلس في سرادق مركزي. وكان العيب الواضح في الحلبات الطويلة في سامراء هو أن الخليفة لم يكن قادرًا على رؤية السباق بأكمله؛ ومن ثم، فإن المتوكل قد أمر بتغيير في التصميم.

تعد حلبات السباق في سامراء أبرز الأمثلة الموجودة من فترة الخلفاء. وعلى الرغم من تحديد بداية سباق الخيل في الرقة، فلم يتم العثور على أي أثر لها في الرصافة. ومن المعروف أيضًا أن حلبات السباق كانت موجودة في بغداد، وفي الفسطاط في مصر، ولكنها اختفت. ويبدو أن هذا النوع من سباق الخيل قد تدهور أيضًا بعد فترة قصيرة من التخلي عن سامراء كمقر للخليفة، عندما وصل الإيرانيون والأتراك إلى السلطة السياسية في العالم الإسلامي.

الكرخ (شيخ ولي)

الكرخ (شيخ ولي) الحلبة التي تكون من نقطة إلى نقطة.

ويحمل القفص والجمالة والفيس والدبالة انها لضعت على بالة فتضاعت تقش مدرجها

وتشد مدرجها كلما دانيتي قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم

واشرت الى الدرهم فوجي بالسر المدهم وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة وابيرحي

قالت الي استملاض البدر التم والأبلج الهمر وقالت دع جدالك وبيل عما بدالك فاسطعا

طلع الشيخ وبلدته والشعر وناتج بردته فقالت ان الشيخ من أهل بزوج وهو الذي وشى